ملاحق الخليج, ملحق الدين للحياة

4 أبريل 2014 03:36 صباحا

الرسول شرّف "بني شيبة" بحمل مفتاح الكعبة حتى قيام الساعة

أجرت الحوار في جدة: مروة البشير

لم أشعر بالمسافة التي قطعها الأتوبيس من مكة إلى جدة رغم صعوبتها، فما كان يشغل فكري هو مقابلة "السادن" رقم 108 في تاريخ الكعبة المشرفة، هذا الرجل الذي شرف بحمل مفتاح من الذهب الخالص لم يحمله في التاريخ البشري إلا مَن سبقوه من أبناء عمومته في بني شيبة، واستلمه من ابن عمه عدنان أمين الشيبي في شهر ديسمبر/ كانون الأول 2012، وفي منزل أنيق تفوح منه رائحة المسك والعنبر دار هذا الحوار مع الشيخ عبد القادر طه الشيبي ـ كبير سدنة الكعبة ـ حول ذكريات الماضي البعيد والقريب الخاصة بالكعبة المشرفة ومفتاحها .

***ماذا تعني كلمة السدانة؟**

السدانة في اللغة تعني الخدمة وسدانة الكعبة أي خدمة الكعبة

***ماذا يعني لقب كبير سدنة الكعبة؟**

كبير السدنة هو الذي يكون معه مفتاح الكعبة من بني شيبة .

***وكيف يتم اختياره؟**

السدانة تؤول للأكبر سناً من بني شيبة، فهي ليست بالوراثة، فمن الممكن أن يذهب المفتاح إلى ابن العم وهكذا، والسن هي التي تحدد مَن يتشرف بحمل مفتاح الكعبة .

تاريخ السدانة

ما تاريخ السدانة ومنذ متى وأنتم تحملون مفتاح الكعبة؟*

تاريخ السدانة يرجع إلى أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وظلت في أبناء إسماعيل ثم اغتصبتها منهم جرهم، ثم اغتصبتها خزاعة، ثم استردها منهم قصي بن كلاب وهو من أبناء إسماعيل، وهو الجد الخامس للنبى صلى الله عليه وسلم، وكانت وظائف مكة المكرمة الست وهي، القيادة والسدانة والسقاية واللواء ودار الندوة والرفادة في قصي بن كلاب ثم انتقلت هذه الوظائف ووزعت وبقي لعبد الدار بن قصي بن كلاب الحجابة وهي سدانة الكعبة ورعاية شؤون البيت واللواء ودار الندوة، وبعد وفاة عبد الدار آلت السدانة إلى ابنه عثمان، وتسلمها عبد العزي بن عثمان ثم إلى أبي طلحة عبدالله بن عبد العزي، وعندما تم فتح مكة، فتح الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة ودخلها وأخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة، لكن الله عز وجل أنزل الآية الكريمة: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا" فدعا النبي صلى الله عليه وسلم عثمان بن طلحة فدفع إليه المفتاح هو وابن عمه شيبة بن عثمان بن أبي طلحة وقال لهم: خذوها يا بني طلحة بأمانة الله سبحانه واعملوا فيها بالمعروف خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم وهكذا أصبحت السدانة لبني طلحة وشيبة حتى قيام الساعة ومنذ ذلك الوقت ونحن أبناء بني شيبة نحمل مفتاح الكعبة .

***هل يسمح للنساء بدخول الكعبة؟**

شرعاً يجوز لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قالت له السيدة عائشة: يا رسول الله أريد أدخل الكعبة قال لها: ائذني قومك (أي السدنة) واسأليهم فإن أذنوا فادخلي وعثمان بن طلحة وقتها كان خادم الكعبة، وكان الوقت بعد المغرب فقال لها سيدنا عثمان: ما لنا عادة في فتح الليل لكن إن أمرنا رسول الله فعلنا فأخذها النبي صلى الله عليه وسلم وأدخلها حجر إسماعيل، وقال: "صلي هنا إنه جزء من الكعبة" . ومن هذا يتضح أنه لم يصدر أحد أوامر للسدنة بفتح الكعبة حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدر أمر للسدنة فلا تفتح الكعبة إلا إذا أرادوا .

ويتم فتح الكعبة مرتين في السنة في يوم 1 شعبان، و15 محرم، ويمكن للمعتمرين أن يدخلوا الكعبة في هذين اليومين إن أرادوا .

***هل يتغير مفتاح الكعبة أم يظل كما هو؟**

يتغير شكل مفتاح الكعبة من وقت لآخر، ويوجد في تركيا متحف إسلامي به 48 مفتاحاً للكعبة منذ أيام العهد العثماني، وأيضاً في متحف بالرياض نسختان لمفتاح الكعبة، ويبلغ طوله 35 سم وهو من الذهب الخالص .

قصة الحجر الأسود

إذا كان الحجر الأسود من الكعبة فلماذا يقع خارجها؟*

الحجر كان من الكعبة لكن بفعل السيول والزمن بدأت الكعبة تتصدع فعزمت قريش على إعادة بنائها بناء متيناً يصمد أمام السيول ولما أجمعوا أمرهم على ذلك وقف فيهم أبو وهب بن عمرو فقال: "يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس" فلما جمعت نفقة الكعبة، قصرت النفقة فصارت لا تكفي لبناء الكعبة على قواعد إبراهيم فقالوا نبني ما تحتمله النفقة والباقي نجعله خارجاً ونحجر عليه حتى لا يطوف أحد من دونه ومن هنا سمي حِجراً لأن قريشاً حجرته حين قصرت بها النفقة .

لكن قريشاً تهيبت من هدم الكعبة وخشيت أن يحل عليهم بذلك سخط الله فقال لهم الوليد بن المغيرة: "أنا أبدؤكم في

هدمها" فأخذ المعول وبدأ بالهدم وهو يقول: "اللهم لم نزغ ولا نريد إلا الخير" فهدم من ناحية الركنين فترقب الناس ليلتهم ليروا هل أصاب الوليد شر بسبب ما فعل؟ فلما رأوه يغدو عليهم لا بأس به قاموا إلى الكعبة فأكملوا هدمها حتى لم يبق منها إلا أساس إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم تلت ذلك مرحلة البناء فتم تقسيم العمل بين القبائل وتولت كل واحدة منها ناحية من نواحي الكعبة فجعلوا يبنونها بحجارة الوادي ولما بلغ البنيان موضع الحجر الأسود دبَ الشقاق بين قبائل قريش فكل يريد أن ينال شرف رفع الحجر إلى موضعه وكادوا أن يقتتلوا فيما بينهم حتى جاء أبو أمية بن المغيرة المخزومي فاقترح عليهم أن يحكّموا فيما اختلفوا فيه أول من يدخل عليهم من باب المسجد الحرام فوافقوا على اقتراحه وانتظروا أول قادم فإذا هو رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما إن رأوه حتى هتفوا: هذا الأمين، رضينا، هذا محمد، وما إن انتهى إليهم حتى أخبروه الخبر فقال: "هلمّ إليّ ثوباً" فأتوه به فوضع الحجر في وسطه ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا، فلما بلغوا به موضعه، أخذه بيده الشريفة ووضعه في مكانه .

مقام إبراهيم

حدثنا عن مقام سيدنا إبراهيم؟*

"عندما بدأ سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام رفع القواعد من البيت جعل سيدنا إسماعيل يأتي بالحجارة وسيدنا إبراهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام سيدنا إبراهيم على الحجر المقام وهو يبني وسيدنا إسماعيل يناوله الحجارة، وهما يقولان: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" واستمر الحجر كما هو في مكانه ملاصقاً للكعبة حتى عهد رسول الله في يوم الفتح حيث أخرجه عن موضعه عندما نزلت آية "واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى" إلى مكانه الحالي حتى لا يعوق المصلون خلفه الطائفين .

***كم مزراب للكعبة؟**

يوجد مزراب واحد فقط للكعبة وهو كما هو معروف لتسريب مياه الأمطار حتى لا تتجمع على سطحها، وهو من الذهب الخالص منعاً للصدأ .

***ما دور سدنة الكعبة إزاء حجاج البيت الحرام والمعتمرين؟**

إن السدانة بمفهومها الشرعي تشمل العناية بالبيت الحرام من تنظيم ورعاية وتطهير وتولى أمور كل ما يخص الكعبة المشرفة للمحافظة على هيبة البيت، وفي العهد الراشد لم يكن السادن يسمح بأن يعلو أي بناء على الكعبة، أما في العصر الحديث فاختلفت الأمور بتصريف من أولياء الأمر، ونسأل الله العلي العظيم أن يزيد بيته هيبة ورفعة وأن يرشد أولياء الأمر لما يحبه ويرضاه .

***وماذا عن طبيعة التعاون بينكم وبين وزارة الحج؟**

كانت العلاقة بالوزارة في الماضي تخص كسوة الكعبة المشرفة التي تقدمها الدولة كهدية للكعبة المشرفة، أما الآن فقد انتقلت مسؤولية مصنع الكسوة وإدارته إلى رئاسة الحرمين .

***كم من الوقت تستغرق كسوة الكعبة؟**

تكسى الكعبة قبل أول أيام عيد الأضحى، في يوم وقفة عرفة، حيث يكون المكان خالياً، وهي الآن تكسى في يوم واحد باستخدام التكنولوجيا الحديثة والسلالم الكهربائية أما فيما مضى فقد كانت كسوتها تستغرق شهراً وكانت تتم الاستعانة بالمعتمرين وكل مَن يرغب بالمشاركة في كسوة الكعبة المشرفة .

توسعة الحرم

حدثنا عن تطور توسعة الحرم في الماضي؟*

باختصار كل مَن شرفه الله بتولي القيادة في البلد الحرام اتجه للتوسعة والخدمة تشريفاً وتعظيماً للمسجد الحرام وحسب ما يقتضيه العصر والحاجة والإمكانات في كل جانب ونعلم أن الكعبة منذ عهد سيدنا آدم قد وضع الله قواعدها وتوالى بناؤها على مر العصور وحتى عندما جاء الإسلام كان الحرم مختصراً على المطاف والبيوت تحيط به من كل جهة وليس له سور وأول من بدأ في توسعة الحرم سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما اشترى بعض البيوت وهدمها وأدخلها في الحرم وتوالت التوسعات بعدها ويتحدث التاريخ عن تفاصيل ذلك .

***وماذا عن التوسعة التي تحدث الآن؟**

التوسعة الحالية التي تحدث في عهد الملك عبدالله تعد أكبر توسعة في الحرم ونسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته وأن ينفع بها ضيوف الرحمن من الحجاج والمعتمرين وأهل مكة المكرمة، وكما يرى الجميع فإن الإزالة في مكة المكرمة وحول الحرم تتم بمشاريع مختلفة بعضها تخص الساحات والبعض الآخر داخل الحرم وأخرى لتسهيل الحركة وسهولة الوصول إلى الحرم والمشاعر، ولا شك أن هذه التوسعة ستستوعب زيادة الأعداد .

***ما الرسالة التي توجهها بصفتك كبير السدنة إلى المسلمين في العالم؟**

نحن أمة ميزها الله بالخيرية والوسطية، عليه أناشد المسلمين نبذ الفرقة والخلاف والتمسك بعقيدتهم . . وأسأل الله أن يطفئ نار الفتن ويوحد الكلمة وألا ينجرف المسلمون وراء الدعايات المغرضة التي تهدف إلى تشتيت الكلمة والضعف وقد حذر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من ذلك، وهذا ما نحن عليه الآن ولا حول ولا قوة إلا بالله، وننصح المسلمين بأن يسارعوا إلى إطفاء الفتن والالتفاف حول بعضهم لنكون أمة قوية لها وضعها في هذا العالم المادي .

. ينشر بترتيب مع وكالة الأهرام للصحافة

"حقوق النشر محفوظة "لصحيفة الخليج .2024 ©